في الحرب على الرغم من انتصاراته، كان هناك شيء أقوى يضفي على نابليون الحزن العميق، ألا وهو فراق حبيبته، وكان يكتب لها أروع الخطابات، ورسائله كانت أعظم رسائل الحب، ولقد بلغ عددها 33 ألف رسالة.

نابليون وجوزفين

صراع الحب والسلطة

نابليون ذلك القائد السياسي والإمبراطور الذي قاد أعظم المعارك، القائد ذو الذكاء الخارق والطموح الجامح، فمن يقرأ عن القصص والحروب الشرسة التي قادها وصرعاته العسكرية السياسية، لا يخطر بباله أن نابليون من أعظم عشاق الدنيا وأنبل فرسان الحب، وسطر أجمل رسائل الحب إلى عشيقته، حتى ولو كان في جبهة القتال وسط أصوات المدافع، وله في العشق صولات وجولات.

ولكن تعد قصة الحب الأشهر والزواج الأطول مدة والأكثر إثارة هي قصته مع جوزفين، تلك المرأة التي تزوجها في سن السادسة والعشرين، وكانت تكبره بستة أعوام، ولها من الولد اثنان ويقال واحد فقط.

وقد اختلفت الرويات عن بداية علاقة نابليون بجوزفين، فإحداها تقول إنه عرفها عن طريق أحد أصدقائه ولها طفلة، ورواية أخرى تقول إنها أم لطفلين، ذهب أحدهما ليطلب من نابليون الاحتفاظ بسيف والده الذي أُعدم بعد عمليات الشغب، وعندما عاد يحكي لأمه عن حسن تعامل نابليون معه قررت أن تدعوه على العشاء، وتقدم له الشكر، ومنذ تلك الزيارة لم تنقطع ولقاءاتهما المتوالية ولم تقل، ومع مرور الوقت هام نابليون شغفًا بها وكذلك هي، وظل هذا الحب يتصاعد مع مرور الوقت ولا ينطفئ أبدًا.

وتقول أخرى أنه زواج مصلحة؛ إذ تزوج من جوزفين التي تكبره سنًّا وتفوقه شهرة، والأهم من ذلك أنها كانت امرأة ثرية، بشكل تقليدي طمعًا في نفوذها ومالها.

لم تكن جوزفين شديدة الجمال، ولكن كانت تمتلك الجاذبية الهادئة.. وصوت عذب وجميل.

ولقد تزوجا في عام 1796م، وامتلكته بميزان غير عادل من امرأة تملك كل مقومات الحب، وأعطته لنابليون الذي لم يعرفه من قبل، وغير نابليون اسمها من روز إلى جوزفين كما كان يحلو له مناداتها، وبعد يوم واحد فقط من زواجهما سافر نابليون لاستلام جيشه في إيطاليا، وربما كان يعلم مسبقًا، فقرر الزواج ولو لساعات بحبيبته جوزفين.

وفي الحرب على رغم انتصاراته كان هناك شي أقوى يضفى على نابليون الحزن العميق، ألا وهو فراق حبيبته، وكان يكتب لها أروع الخطابات، ورسائله (أعظم راسائل الحب) بلغ عددها 33 ألف رسالة.

يبعث لها ويشكو لها حاله وما وصل إليه من الشوق:

"لم أمضِ يومًا واحدًا دون أن أحبكِ، ولا ليلة واحدة دون أن أعانق طيفكِ، وما شربت كوبًا من الشاي دون أن ألعن العظمة والطموح اللذين اضطراني إلى أن أكون بعيدًا عنكِ وعن روحكِ الوثّابة، التي أذاقتني عذوبة الحياة، إن اليوم الذي تقولين فيه إن حبكِ لي قد نقص، هو اليوم الذي يكون خاتمة حياتي".

وفي رسالة أخرى منه إلى معشوقته جوزفين استرسل في وصف حبه وولهه الشديد فقال:

"وحدها عزيزتي جوزفين تقبع في قلبي، تحتل روحي، تشغل تفكيري. إذا كنت قد ابتعدت عنك بسرعة جريان نهر الرون، فلكي أعود بسرعة لأراك، إذا كنت أستيقظ ليلًا لأعمل، فلكي أستعجل عودتي لرفيقة عمري الرقيقة".

وكان نابليون بونابرت إذا فرغ من الكتابة مسح ريشته في كم سترته.

وفي مقابل ذلك كانت جوزفين مشغولة بالحفلات وحياة الترف بباريس، وتوهَّمت دور البطلة وزوجة نابليون القائد، وبدأ محاولاته الحنونة أن تأتي إليه دون جدوى، فأمرها بالسفر حيث هو بإيطاليا.

وعند عودتها إلى باريس بعد هذه الرحلة استُقبلت بحفاوة لم تعهدها امرأة بفرنسا، وتوِّجا إمبراطورًا وإمبراطورة لفرنسا.

ثم دخل الغرور والزهو إلى قلبها فأصبحت تبالغ في شراء أزياءها وأثاث المنزل وتدفع أموالًا طائلة للحفلات، ولم يكن يعترض نابليون على ذلك، وكان يكفيه منها أنها تلك المرأة التى يعشقها ولن يرفض لها طلبًا.

وفي عام 1798 م قام نابليون بحملته على مصر، وودَّع جوزفين مرة أخرى، وبعدها تلقى نابليون خطابًا من أخيه جوزيف يخبره فيه أن جوزفين وقعت في حب شاب وسيم وتنفق أمواله ببذخ عليه، كانت تلك أكبر صدمة تلقَّاها نابليون في غربته، ويروون أنه عندما أتاه الخطاب ضحك بسخرية وقال: "لقد تحطمت سعادتي".. فلقد كان يرى جوزفين سعادته الأبدية.

ورغم ما حققه من نصر ومركز، وفي هذا الحال المزري، كان يتخبط نابليون عاطفيًّا، فقد كسرته جوزفين، وفي تلك الأثناء عرف زوجة ضابط في الجيش تدعى مارغريت، وكانت ترتدي قلادة تحمل صورته وتهتم به، توهَّم أنها ضماد لجرحه العميق.

رجع نابليون إلى فرنسا فجأة، وكانت جوزفين خارج المنزل، وقد أحاط به الأهل والأصدقاء وقدموا له عرضًا مفصلًا حول سوء سلوك جوزفين واستهتارها، وتمادوا في ذلك وربما أكثر مما يحتمل.

وعندما قدمت جوزفين علمت بغضب نابليون وطلبت منه العفو والسماح وتوسلت إليه، ولأن جوزفين كانت تعني له الكثير وحبها يفوق كل هفواتها، سامحها، إلا أن جرحه من خيانة جوزفين لم يندمل،

عبثًا حاول الهروب من آلامه، فتعددت علاقاته مع نساء المجتمع والممثلات، خاصة أن جوزفين لم تنجب له الوريث الذي سيرث عرش إمبراطورية أبيه.

وفي تعدد علاقاته وجد من الكونتيسة البولندية ماري الزوجة وأم لابنه، فانفصل من أجلها بشكل نهائي عن جوزفين، ولكن بقيت هي الحب الأول والأخير الذي علق بقلبه.

كان وقع الطلاق على نفس جوزفين له أثر قوي جدًا، فعندما علمت به سقطت مغشيًّا عليها، ثم رحلت بعد أيام لمكان بعيد، وعندما كثر أعداء نابليون وبدأت إمبراطوريته تسقط، ودَّع زوجتة وابنه عام 1814م ولم يرهما بعد ذلك أبدًا.

أثناء ذلك علم نابليون بمرض جوزفين بالدفتيريا ومن ثم وفاتها، فذهب إلى باريس محاولًا استعادة سلطته وليزور منزل جوزفين ويلقي على روحها نظرة الوداع، وانخرط في البكاء المرير.

ورحل إلى المنفى بعدها إلى جزيرة سانت هيلينا حيث مات بسرطان المعدة. وقد قيل إنه اغتيل عن طريق طلاء جدران غرفته بالزرنيخ، فتسبب ذلك له بقرحة معدية لازمته حتى وفاته، ولذلك كان غالبًا ما يضع يده داخل سترته فوق معدته، رحل بعد جوزفين وحيدًا.. بعدها لا يملأ مكانها في حياته أحد.